لواء الشرطة ماجد الفراجي ، رئيس وحدة الجرائم الكبرى في وزارة الداخلية يرقد في المستشفى بعد تعرضه لاطلاق نار امريكي

التهور الامريكي وقتل الابرياء

اقترب ثلاثة رجال في سيارة غير معلمة من المقر الرئيس للشرطة الوطنية المختصة بالجرائم الكبرى. ترجل اثنان كانا يرتديان الدشداشة العربية ، من السيارة. و في اللحظة نفسها ، ظهرت دورية امريكية من التقاطع. فاعتقدت كما يبدو بان الرجلين كانا ينصبان كمينا ، اطلق الامريكان النار ، مودين بحياة احد المسافرين و جرح الآخر. كان سائق السيارة قد اصيب بشظيتين في الرأس. واصل الجنود مسيرهم دون توقف. ان هذا النوع من اطلاق النار ليس نادر الحدوث في بغداد ، و لكن سائق السيارة لم يكن ضحية طبيعية. لقد كان لواء الشرطة ماجد الفراجي ، رئيس وحدة الجرائم الكبرى. كان الشخصان الاعزلان المسافران معه قد اصطحباه بالمصادفة وهو في طريقه الى لعمل حيث قام بانزالهما.

بقلم : ريجارد بادوك
ترجمة : فاروق السعد

" "ان سبب قيامهم بإطلاق النار علينا هو لمجرد كون الامريكان متهورين" كما قال الجنرال من على فراشه في المستشفى بعد ساعات من عملية اطلاق النار في ٦ تموز، حيث كان رأسه ملفوفا بالرباط الابيض." لا يوجد من يعاقبهم او يلومهم". انزعجت الحكومة بسبب تزايد عدد الضحايا من المدنيين العزل على ايدي القوات الامريكية في الاسابيع الماضية، فقدمت نقدا لعملية اطلاق النار و طالبت القوات الامريكية بتوخي المزيد من الحذر. رفض المسؤولون الامريكان باستمرار طلبات كشف النقاب عن عدد المدنيين الذين قتلوا في مثل هذه الاحداث. وتقول الشرطة في بغداد إنها تلقت تقارير تشير الى ان القوات الامريكية قتلت ٣٣ مدنياً اعزل و جرحت ٤٥ في العاصمة بين ١ ايار و ١٢ تموز –بمعدل ضحية كل يومين تقريبا. و هذا لا يشمل الاحداث التي تقع في مناطق اخرى من البلاد او تلك التي لم تعلم بها الشرطة. ان استمرار سقوط الضحايا من المدنيين يثير كراهية متنامية للولايات المتحدة و يخرب الجهود الرامية الى اقناع الشعب بان الجنود الامريكان هم هنا لغرض تقديم العون. كان من بين الضحايا اطباء، صحفيون، واساتذة جامعيون- من نوع الاشخاص الذين تعتمد عليهم الولايات المتحدة في عملية بناء مجتمع ديمقراطي مفتوح. " بالطبع ان عمليات اطلاق النار ستعزز من موقف المعارضة" كما قال الفراجي،البالغ من العمر ٤٩عاما، الذي عين جنرالا للشرطة بموافقة الولايات المتحدة. " لقد تصاعدت الكراهية للولايات المتحدة. انا نفسي بت اكرههم". ومن بين اكبر التهديدات التي تواجهها القوات الامريكية هي العمليات الانتحارية. حيث يتعرض لها الجنود عند قيامهم بالمراقبة في نقاط السيطرة او عند ركوبهم سيارات الهامفي في الدوريات. ان رغبة المهاجمين في الموت يجعل من الصعب منع وقوع الهجمات. و من طبيعة الهجمات الانتحارية، انها تدمر ثقة القطعات بالجمهور؛ فكل مدني يصبح موضع ريبة. يقول المسؤولون العسكريون الامريكان إن القوات يجب ان تحمي نفسها باطلاق النار على سائق أية عربة مشكوك بامرها قبل ان تصلهم. كما ان الشركات الامنية الخاصة لديها افراد مدججون بالسلاح ، و تبلغ اعدادهم عشرات الالاف، مخولون ايضا من قبل حكومة الولايات المتحدة باستخدام القوة المميتة لحماية انفسهم. قال احد المقاولين الذين يعملون لمصلحة حكومة الولايات المتحدة و الذي شاهد احد زملائه يقتل في عملية انتحارية انه من الافضل اطلاق النار على انسان بريء من ان نتعرض لمخاطر القتل. " افضل اصابة ١٢ على ان احمل من قبل ٦" هكذا قال المقاول، الذي اصر على عدم ذكر اسمه لانه لم يكن مخولا للتحدث الى وسائل الاعلام. يقول الجيش الأمريكي انه يجري تحريات عن جميع عمليات اطلاق النار من جانب الامريكان والتي كانت نتيجتها الموت. و لكن الجنرال الامريكي دون الستون، المتحدث باسم القوات المشتركة في العراق، قال ان ليس لديه علم بوجود أي تدريب للجنود على اطلاق النار على المدنيين في نقاط السيطرة او في الطريق. قلما تنشر نتائج التحقيق على الملأ. و قال مسؤول عسكري امريكي رفيع في بغداد، الذي تحدث شريطة ان لا يذكر اسمه إن" عدم خلق اعداء جدد" قد كان من احدى اولويات الجيش. و في نفس الوقت، كما قال" انها ما زالت ساحة حرب. " ستمر بنا اوقات حيث يصبح فيه ما يحتاج الجنود القيام به و ما يشعر الشخص المدني بانه ينبغي ان يكون قادرا على القيام به في حالة تناقض". في ٢٧ حزيران الماضي ، وصل صلاح جمور الى بغداد لزيارة عائلته. ان والده، عبد الرحمن، هو رئيس عشيرة كردية يبلغ عدد نفوسها اكثر من ٢٠٠٠٠ . غادر صلاح العراق قبل ٢٥ سنة الى سويسرا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية و اخيرا اصبح مواطنا سويسريا. منذ عقد، كان يمثل الاكراد العراقيين في مكتب الامم المتحدة في جنيف. و في عام ١٩٨٨، ساعد في لفت انتباه العالم الى استخدام صدام حسين الأسلحة الكيماوية ضد الاكراد في مدينة حلبجة شمال العراق و مقتل ما لا يقل عن ١٠٠٠٠ كردي في ما يعرف بحملة الانفال. و بعد الغزو الامريكي للعراق، عرض على صلاح جمور منصبا في الحكومة العراقية الجديدة. و لكنه رفض، مفضلا البقاء في جنيف، حيث كان هناك مساعد بروفيسور في مركز البرامج الدولية و المقارنة لجامعة اوهايو. و في صباح اليوم التالي لوصوله ، قرر ان يذهب مع اخيه الاصغر ، المهندس المعماري عبد الجبار جمور، الى مكتبه. قام عبد الجبار، ٣٨، بسياقة سيارته الاوبل على امتداد شارع محمد القاسم السريع وسط بغداد. كانت الساعة ٩:٣٠ صباحا و كان هنالك العديد من السيارات في الشارع. ان سيارة الاوبل مفضلة من قبل المتمردين. كان الاخوان على الخط السريع عندما كانت دورية امريكية من عربات الهامفي تدخل الطريق السريع من تقاطع الكيلاني. لم يلحظ أي منهما الجنود، كما قال عبد الجبار. و فجأة ، سقط صلاح في حضن اخيه. سأله عبد الجبار ان كان يعاني من شئ و من ثم لاحظ دماء تنسكب من راس صلاح. كان هنالك ثقب لطلقة واحدة في الزجاجة الامامية. و شاهد الدورية تواصل مسيرتها عندما توقف هو على جانب الطريق. و قال بانه لم يشاهد اشارة على وجوب تخفيف السرعة و لم يسمع طلقة تحذيرية. استدار الجنود و عادوا بعد بضعة دقائق. قال احدهم بانه آسف، كما قال عبد الجبار. انتظروا سوية اكثر من ساعة قبل ان تصل سيارة الاسعاف. " سألتهم، لماذا لم تطلق النار صوبي؟ انا السائق" كما يتذكر عبد الجبار." و لكنهم لم يجيبوا". قال عبد الجبار انه و عائلته ساندوا القوات الامريكية عندما غزت في بادئ الامر العراق، و لكنهم لم يعودوا كذلك. " ان هذا النوع من الاحداث تجعل الناس يكرهون الامريكان اكثر و اكثر" كما قال." انهم لا يعيرون أي اهتمام بحياة الناس. فهم يكسبون كل يوم اعداء". طلبت سويسرا ايضاحا حول مقتل جمور. وفي واشنطن، قالت وزارة الخارجية ان الولايات المتحدة قد بعثت بمواساتها الى الحكومة السويسرية و الى عائلة جمور و ان البنتاغون قد بدأ تحقيقا حول الموضوع. و في بغداد، قال عبد الجبار ان العائلة قد التقت بسفير سويسرا و لكنها لم تتسلم رسالة تعزية من الحكومة الامريكية، و لم يتصل أي محقق بالعائلة، كما اضاف. هنالك تقليد قوي للانتقام في الثقافة العشائرية بالعراق. ان مصرع مثل هذه الشخصية العشائرية البارزة كان يمكن ان يؤدي الى حمام دم قد يودي بحياة ٢٠٠، كما قال الشيخ عبد الرحمن. و لكن عائلة جمور، وهي عائلة مثقفة جيدا من الاطباء و المهندسين، تقول بانها تريد ان تقيم الدعوى القضائية بتحديد المسؤول عن مقتل صلاح. " يقول الناس لو انهم قتلوا اخي، فان علي ان اقتل واحداً منهم" كما قال عبد الجبار." ولكني اؤمن بالعدل. و لا اذهب لمجرد قتلهم. تقول الولايات المتحدة انها قائدة العدالة في العالم. دعنا نرى ذلك". في العراق، قام الجيش الامريكي باعادة تعريف قواعد المرور. فنقاط السيطرة العسكرية- الكثير من الحواجز الكونكريتية،الاسلاك الشائكة و مراصد القناصين- قد اقيمت في تقاطعات الطرق في جميع انحاء بغداد. و ينشر القناصون بالعربي و الانكليزي لافتات تقول" مخول باستخدام القوة القاتلة". تخاطر السيارات التي تقترب بسرعة عالية بالتعرض لاطلاق النار من قبل القطعات التي تطلق النار لتقتل. في بعض الاوقات، تقيم القطعات نقاط سيطرة مؤقتة اثناء قيامها بغارة او عمليات عسكرية اخرى. ان تلك النقاط يمكن ان تكون اكثر خطورة على المدنيين لانها يمكن ان تظهر في شوارع المدينة بدون تحذيرات. تقوم الدوريات العسكرية، عادة مكونة من ٣سيارات نوع هامفي، بالتجوال في شوارع المدينة. في كل عربة، يقف رام مخرجا قسماً من جسمه لتشغيل المدفع الرشاش المنصوب على السطح. و بالنسبة الى القطعات ، فان ذلك العمل هو من بين اخطر الاماكن التي يمكن ان يوجد فيها المرء في العراق. يطلب الجيش ان تبقى جميع العربات على مسافة لا تقل عن ١٠٠ ياردة من الدورية. و عندما تقترب السيارات اكثر، تلوح القطعات لها بالتراجع، احيانا بالتلويح بعلامة صغيرة للتوقف و احيانا بالقبضة المشدودة. يقول بعض العراقيين ان من الممكن عدم رؤية القبضة. و يمكن ايضا ان تكون مربكة بالنسبة لمن يقودون السيارات في العراق، حيث تكون علامة التوقف اليد المرفوعة المنبسطة، كما هو الحال في الولايات المتحدة. و في الطرق السريعة، تزدحم السيارات بعيدا خلف عجلات الهامفي الامريكية. و لكن المحافظة على المسافة المطلوبة عن الدورية يمكن ان تكون عصية عندما تقوم العجلات العسكرية بشكل مفاجئ بتغيير اتجاه سيرها او تدخل في الطريق السريع. ان قواعد الاشتباك في امريكا تدعو الى "تصعيد القوة" عند اقتراب عربة اكثر مما ينبغي. تم تدريب الجنود على اعطاء تحذيرات باليد و الذراع في البداية، و من ثم اطلاقات تحذيرية و اخيرا اطلاقات للقتل، كما يقول مسؤول امريكي رفيع. " لا يوجد في قواعد الاشتباك ما يستبعد حق الدفاع عن النفس لو شعر الجنود بالتهديد" كما قال. قتل ما يزيد على ١٧٧٠ جندياً في الساحة العراقية منذ غزو آذار ,٢٠٠٣ و بالرغم من تزايد عدد القتلى من المدنيين، يقول المسؤول بان حالات تصعيد القوة قد انخفض بمقدار النصف خلال الاشهر الاربعة الماضية. لكنه رفض تقديم ارقام محددة. و طبقا لما يقوله دبلوماسي اوربي، فان تأكيد الجيش الامريكي على حماية قطعاته قد جعل من الجنود الامريكان اكثر استعدادا لقتل و جرح المدنيين مما هو الحال مع الاعضاء الآخرين في التحالف، كالبريطانيين، المنتشرين في جنوب العراق. " ان الولايات المتحدة لديها قوة للحماية باعتبارها اولويتهم رقم واحد" كما يقول الدبلوماسي، الذي طلب عدم ذكر اسمه لأن ملاحظاته لم تحصل على موافقة حكومته من قبل. " انها تشكل لدى البريطانيين اولوية، و لكنها لا تشكل اولوية مطلقة في جميع الحالات. و اعتقد بان ذلك يجعل من الجنود الامريكان اكثر توترا". يقول محمود عثمان، عضو كردي في المجلس الوطني، انه يعرف شخصيا ثلاثة اشخاص، بضمنهم صلاح جمور، اطلقت النيران عليهم و قتلوا من قبل القطعات الامريكية خلال حوادث على الطرق. من بين الاثنين الآخرين، كانت شابة رياضية، و الاخر كان طبيبا استدعي الى المستشفى لمعالجة حالة طارئة. " علمت ان الجنود الامريكان عصبيون. وهذا خطر جدا" كما قال محمود عثمان، الذي كان عضوا في مجلس الحكم الانتقالي المعين من قبل الولايات المتحدة الذي ساعد على ادارة العراق بعد الغزو. " و لكن عمليات القتل تؤدي الى نسف الدعم للحكومة الامريكية. ولقد ساعدت الاشخاص الذين يطلقون على أنفسهم (المعارضة). لقد ساعدت الارهاب". لقد اوضحت قضية حدثت مؤخرا النقد الذي توجهه الحكومة العراقية للولايات المتحدة و هي عملية القتل في ٢٤ حزيران لياسر صالح، ٣٠، مراسل عراقي خاص لصالح صحف Knight-Ridder.كان صالح، وهو طبيب، قد، اخذ يوم اجازة و كان يخطط لاخذ زوجته و ابنته الى المسبح. ذهب للحصول على البنزين و كان عائدا الى البيت في منتصف النهار. عندها، كانت القوات الامريكية تقوم بعملية عسكرية في منطقته. يبدو بانه لم يلاحظهم الى ان اصبح الوقت متأخراً جدا. لم يكن الطريق الذي اختاره مغلقا و لم تكن هنالك علامة تحذير للسيارات بوجوب التوقف، كما يقول شهود عيان. و عندما كان يقترب من ساحة العملية العسكرية، قام قناص امريكي باطلاق النار على سيارته. اصابت احدى الاطلاقات اطار السيارة. الاطلاقة الاخرى اصابت صالح في جبهته. اصابت تلك الاطلاقة ايضا اصابع في يده اليمنى، مما يشير الى انه كان رافعا على الاقل احدى يديه في الوقت الذي قتل فيه. يقوم المسؤولون الامريكان بالتحري عن مصرعه. وقالت ارملة صالح، رغد الوزان، بانها قبلت وجود الجنود الامريكان عند وصولهم اول الامر الى العراق لانهم" جاءوا و حررونا" . كانت في بعض الاحيان تساعدهم في المستشفى حيث تعمل كطبيبة. و لكنها لم تعد كذلك. " الان، و بعد ان قتلوا زوجي، " كما قالت" فاني اريد ان انسفهم جميعا".

عن: لوس انجلس تايمز

لن يتغير شيء حتى يغلق مشرف مدارس مقاتلي باكستان

بقلم : احمد رشيد
ترجمة : غادة محسن

في اول رواية لها بعنوان)المجازفة(تكتب ستيلا رمنغتون، الرئيس السابق لوكالة MI5 المخابراتية، عن مقاتل باكستاني يصل بقارب صغير الى بريطانيا لينسف قيادة قاعدة جوية امريكية . بريطانية في اراضي الفينز المنخفضة. المساعد الاساسي في هذه العملية هي فتاة انكليزية تحولت الى الديانة الاسلامية وامضت وقتاً في مخيم تدريبي في باكستان، في حين لا تلتقط وكالة MI5 عدة اشارات تدل على قرب هجوم محتمل.

وليس بالمستغرب انك عندما تقرا قصة كاتب قضى خمسة وثلاثين عاماً في الخدمة المخابراتية السرية فان الحقيقة والخيال يتمازجان، فالباكستاني المشتبه به المدبر لتفجيرات السابع من تموز يعتقد بانه قد قدم بالقارب ليفجر الانتحاريين الاربعة ثم غادر البلاد قبل يوم من الهجوم، فيما بدت قذائف البارحة تفتقر لهذه الخبرة الاجنبية.

يقول رئيس الوزراء توني بلير انه ليس هناك من طريقة للتعامل مع خطر الارهاب المحتمل الا بالمضي قدما، الا ان حقيقة الامر هو عدم تناول الحكومة مسألة استمرارالتطرف الاسلامي. فحتى هذا الشهر كانت الهجمات الارهابية احداثاً بعيدة جداً عن اغلب الشعب البريطاني، ولكن الامر لم يكن كذلك بالنسبة للباكستانيين . فقد مات (١٠٠٠) شخص مدني و العدد نفسه من قوات الامن في احداث عنف ارهابية وطائفية في الباكستان منذ احداث الحادي عشر من ايلول.

وسمحت بريطانيا للخطباء المقاتلين المسلمين حرية التعبير عن رسالة الكره في الجوامع وقاعات الاجتماعات وغرف جلوس البريطانيين المسلمين، وسُمح كذلك بتداول كتابات واشرطة فيديو في المجتمع الاسلامي تؤيد المنهج المتطرف، واذ رأى بعض المتفرجين من الخارج هذا المنهج مطابقاً للتفرد او الليبرالية البريطانية، فان وكالات المخابرات الاجنبية مغتاظة منذ سنوات بسبب تراخي الحكومة البريطانية.

وهكذا فان المفجرين الاربعة لاحداث السابع من تموز لم يكونوا بحاجة للتسجيل في مدرسة دينية باكستانية للتعلم عن الاسلاميين المتطرفين لان ذلك كان متاحا في يوركشاير.

ولايرجح الخبراء ان يكون ثلاثة من المفجرين لاحداث لندن الذين قدموا الى باكستان العام الماضي ان يكونوا قد انخرطوا في مدرسة هناك حتى يمتلكوا هذا الفكر الايديولوجي، بل على العكس فقد وصلوا وعقولهم مهيأة واستغلوا وقتهم افضل استغلال للاتصال بالقاعدة والجماعات الباكستانية المقاتلة والتدرب على المتفجرات. وكل باكستاني شاهد صور التلفاز حول كيفية معيشة الباكستانيين البريطانيين في ليدز استغرب كيف لم تجر اية محاولة لدمجهم، وتبدو اطراف ليدز كأحياء الفقراء او نموذج طبق الاصل لقرية بنجامية شديدة الفقر ولكنها مشيدة بالطابوق الاحمر.

ويتوجب على البريطانيين المسلمين ان يتحملوا جزءاً كبيرا من اللائمة لفشلهم في التعبير عن آرائهم ضد المتطرفين الذين يعيشون بينهم رافضين الاندماج ويصرون على ان يؤمهم في الصلاة رجال من قرى بلدهم، وهؤلاء الرجال اما جاهلون تماماً بالعالم او متطرفون.

عادة يواجه المهاجرون التمزق بين عاداتهم وحداثة البلد الذي يضيفهم الا انه لم ترفض جماعة الحداثة بشدة مثلما فعل الاسيويون المسلمون وهو امر يدعو للخجل. وفي الوقت نفسه فان الغضب الكبير الذي يشعر به اكثر من ٦٠٪من البريطانيين حيال سياسات بلير في العراق - حسب استطلاع للكارديان - هو اكثر حدة بين اوساط المجتمع المسلم، والواقع ان بلير سيواجه صعوبة كبيرة في مواجهة التطرف بين اوساط الاسيويين المسلمين وهو مستمر بنهج السياسة نفسها مع العراق.

اما القائد العسكري الباكستاني اللواء بيرويز مشرف فقد فعل اقل من ذلك لكبح المتطرفين على الرغم من سيل دماء المدنيين الباكستانيين في شوارع باكستان نتيجة الهجمات الارهابية. وفي مؤتمر للشباب قدم الجنرال مشرف يوم الاثنين كلمة ملوحا باصبعه الغاضب الى مدارس المقاتلين ومكرراً مرة اخرى بان هذه الجماعات المقاتلة الممنوعة تفرض إيديولوجياتها على الاخرين.

وهذا الاسبوع تم اعتقال اكثر من ٢٥٠ مقاتلاً، وفي كلمة اخرى لمشرف قبل ايام وجهها للشعب الباكستاني طلب منهم مرة اخرى ان ينضموا اليه في جهاده ضد المتطرفين الاسلاميين، ولكن منذ احداث الحادي عشر من ايلول فان مثل هذه الاعتقالات قد حدثت غالباً ويطلق سراح المعتقلين بعد تسعين يوماً في الحجز. ويستجيب الباكستانيون الان لمثل هذه الخطابات بالتلويح بأيديهم ونظرة تعبر عن الملل، معلقين ان تلك الخطابات هي فقط من اجل المتفرجين من الغرب.

ومنذ احداث الحادي عشر من ايلول فقد كرر مشرف هذه الخطابات مرات عديدة حتى ان الشعب فقد الاهتمام بها، ورغم كل الضغوطات السياسية التي مارسها الغرب على القوات العسكرية منذ الحادي عشر من ايلول، وكل التنازل عن الديون الذي قدمته الانظمة الغربية والمساعدات الخارجية . بمبلغ يصل الى ثلاثة مليارات من واشنطن لوحدها - والاسلحة الجديدة ومعدات الاستخبارات ودفع المبالغ النقدية لاصلاح نظام المدارس فان التغيير الحاصل كان قليلاً.

وقبل ايام فشل مشرف في فرض اغلاق مدارس تسيطر عليها جماعات متطرفة، فالوعود بالإصلاح التي وعد بها مشرف في عام ٢٠٠٢ في اجتماعاته مع بوش وبلير في واشنطن ولندن لم تنفذ. وقبل وقوع تفجيرات لندن لم يهتم بوش او بلير بالسؤال عن سبب عدم نجاح الاصلاح برغم انهما كانا قد قدما مبالغ لتمويل التعليم.

وتستمر المدارس التي تسيطر عليها جماعات باكستانية مقاتلة تعمل مع القاعدة بالعمل بحرية فلواحدة من اكبر التجمعات المتطرفة (لاشقر. طيبة) اعضاء ساعدوا القاعدة. والان تعمل تحت اسم جديد.

ولم يحصل اي تدمير او خرق للقاعدة الارتكازية الكبيرة للمتطرفين الاسلامين التي اسسها الجيش قبل احداث الحادي عشرمن ايلول للقتال في افغانستان وكشمير الهندية المسيطر عليها من قبل طالبان، ولكن اجبرت هذه القاعدة على البقاء في الظل مؤقتاً وظلت مخيمات التدريب تنتشر في مواقع اخرى، وتم منع بعض المجاميع المقاتلة ثلاث مرات لتعود وتظهر مرة اخرى بعنوان جديد. كان خطأ الغرب منذ الحادي عشر من ايلول هو ابقاء الاتصالات مع مشرف غير معلنة وكأن ذلك سيمنحه الزمان والمكان لفعل الشيء الصحيح، ان المطلوب هو جرعة مركزة من الدبلوماسية العامة بحيث تجبر الجيش على التصرف بدل الاستنكار والمراوغة، وفي الوقت نفسه فان على بريطانيا ان تستيقظ على عالم ما بعد احداث السابع من تموز اذ يتوجب عليها ان تفعل الكثير لتوحيد اقليتها المسلمة اكثر مما فعلته لحد الان.

عن الغارديان